PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2023) 60(2): 1404-1417
ISSN: 1553-6939

Marital Conflicts in the Algerian Family Through the Book " Al-Durar Al-Maknūnah fī Nawāzil Māzūnah "

Younes Lakhdar Bennaceur [1]

[1]Abou bekr Belkaid Tlemcen University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Islamic Sciences, Laboratory of Philosophical and Artistic References for Rhetorical and Critical Thinking in Algeria (Algeria).

Email Author: younesbennaceur82@gmail.com

Received: 06/2023 **Published: 09/2023**

Abstract:

This study aims to shed light on the issue of marital disputes and conflicts within Algerian families, by highlighting the reasons behind them, including instances where spouses or one of them face coercion, deception, violence, poor treatment, or disagreements over financial matters. The study also examines the resulting reactions from the spouses themselves, as well as the family and societal environment. Additionally, it explores the role of religious scholars (fuqaha) and their contribution in resolving such conflicts.

The study relies on the book "Al-Durar Al-Maknūnah fī Nawāzil Māzūnah" due to its rich scholarly content and detailed insights into the nature of marital relationships and the daily life of Algerian families.

Keywords: Conflict; Marriage; Family; Algeria; Nawāzil Māzūnah (The Hidden Pearls in Mazounah's Legal Issues)

النزاعات الزوجية في الأسرة الجزائرية من خلال كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"

يونس لخضر بن ناصر [1]

[1]أستاذ محاضر ب، جامعة أبو بكر بلقايد–تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر (الجزائر)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضية النزاعات والخصومات الزوجية في الأسرة الجزائرية، ببيان أسباب ذلك من تعرض الزوجين أو أحدهما للإكراه أو الخداع أو العنف أو سوء عشرة أو حصول اختلاف حول الأمور المالية، وما نتج عنها من ردود أفعال سواء من الزوجين نفسيهما أو المحيط العائلي والاجتماعي، ثم الوقوف على دور الفقهاء ومدى مساهمتهم في حلّها.

واعتمدت في ذلك على كتاب "**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**" نظرا لما يوفره من مادة علمية ثرية وتفاصيل دقيقة عن طبيعة العلاقات الزوجية والحياة اليومية للأسرة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: النزاع؛ الزواج؛ الأسرة؛ الجزائر؛ نوازل مازونة.

1.مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. **أما بعد:**

الأسرة هي نواة المجتمع الأولى وركنه القويم، واستقرارها هو الأساس الأول لاستقراره وتطوره وبسط الطمأنينة بين أفراده، وإن أي اضطراب أو مشاكل تواجه الأسرة تؤثر على أفرادها أيّما تأثير، بل قد يمتدّ أثرها عليهم في تفاعلهم وأدائهم خارج أسرهم.

وتُعد النزاعات الزوجية أحد مظاهر الحياة الاجتماعية للأسرة، وهي نتيجة طبيعية للعلاقة الزوجية القائمة، حيث تتقاطع المصالح وتتضارب المنافع وتختلف الأفكار وتتباين الثقافة وغير ذلك من مظاهر الحياة. فالحياة الزوجية لا تسير على وتيرة واحدة، بل يشوبها بين الحين والآخر بعض النزاعات التي قد تؤثر على طبيعة الكيان الأسري وتزج به في بوتقة الأزمات.

هذا؛ وإن الواقع الاجتماعي المعاصر في الجزائر يشهد حالة غير مسبوقة من النزاعات الزوجية التي تصل بالأسرة إلى التفكك وانفصال الزوجين، يدل على ذلك الازدياد الملحوظ والملموس في نسب الطلاق والخلع.

ورغبة مني في الوقوف على هذه الظاهرة محاولا دراسة أسبابها وآثارها، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ «**النزاعات الزوجية في الأسرة الجزائرية من خلال كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة**» لتقدم معرفة نظرية مدعمة بالتأكيد الواقعي التاريخي الاجتماعي الذي مثّلته الأسئلة المسوقة والمسائل المطروقة في كتاب نوازل مازونة، ففي تحليلها توصيف لحال الاجتماع في ذلك العصر، سواء ما تعلق بالمعاش والاقتصاد أو ما ارتبط بالحكم والسياسة، أو الأحوال الشخصية، أو ما نبع من العادات والتقاليد وغير ذلك.

وقد اخترت الحديث عن الخصومات الزوجية من خلال كتاب النوازل للمازوني، ليس لأن اهتمامي بذلك تاريخي بحت في حد ذاته، ولكن لتحليل عمق هذا الحقل التاريخي الثقافي وإسقاطه في حاضر المجتمع الجزائري، فلا حاضر بدون ماض.

ويوفر كتاب المازوني مادة علمية ثرية ونصوص متنوعة حول طبيعة العلاقات الزوجية وتفاصيل دقيقة تتصل بالحياة اليومية للأسرة الجزائرية، ويكشف الكثير من خباياها، وينير بعض ما يلفه من غموض، كما أن فيه بيانا لما كان يشغل الساكنة من مسائل الحياة وقضاياها.

وبناء على ما سبق فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي أسباب النزاعات الزوجية في الأسرة الجزائرية؟
- ما هي أبرز ردود الأفعال تجاه هذه النزاعات؟

- ما هو دور الفقهاء في الحفاظ على التوازن الأسري وحل النزاعات؟

وللإجابة عن الأسئلة السابقة اتبعت المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمت بجمع النصوص الواردة في كتاب «**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**»، والتي تضمنت نزاعات وخصومات زوجية، ثم تفسيرها وشرحها من أجل استنباط ما يتعلق بأسبابها وآثارها وما يتعلق بدراستنا.

وقسمت هذه الدراسة إلى ما يلي:

- **تمهيد:** في ترجمة المؤلف والتعريف بكتابه.
- **المحور الأول:** أسباب حدوث النزاعات الزوجية.
- **المحور الثاني:** ردود أفعال الزوجين وموقف الفقهاء تجاه النزاعات الزوجية.

ويجب أن أشير في الأخير إلى أن المعطيات التي ستقدمها هذه الدراسة ليست سوى ملاحظات مبدئية جزئية ولا يمكن أن تكون في مستوى النتائج النهائية الشاملة.

2.تمهيد: ترجمة المؤلف والتعريف بكتابه «الدرر المكنونة»

لما كان موضوع دراستي مرتبطا بكتاب «**الدرر المكنونة**» للإمام المازوني فإنه من اللازم وضع ترجمة له والتعريف بكتابه وبيان أهميته.

2-1 ترجمة موجزة للإمام المازوني:

لا تسعفنا كتب التراجم والسير بالكثير حول حياته الشخصية، فلا تزال أخباره يكتنفها الغموض خصوصا ما يتعلق بأسرته وظروف استقراره، وسأحاول جمع ما توفر لدي من معلومات عنه من أجل توظيفها للتعريف بهذه الشخصية العلمية الجزائرية الكبيرة.

أما **اسمه** فهو يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني[1].

وينتسب إلى قبيلة مغيلة، قبيلة بربرية، استوطنت عند مصب نهر الشلف ومحيطه، وقد أسس أحد زعماء هذه القبيلة –وهو منديل بن عبد الرحمن المغراوي– مدينة مازونة في قلب جبال الظهرة –تابعة لولاية غليزان حالياً، وهي مدينة عامرة تعج بالحياة، أسّسها خلال النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م[2].

(1) انظر ترجمته في: الحضيكي محمد بن أحمد، طبقات الحضيكي، 612/1. أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص637. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 383/1.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، 6/.164

نشأ أبو زكريا في أسرة علم ودين وجاه، توارثت العلم والقضاء أبًا عن جد، فأنجبت من المشايخ والعلماء الكثير، وعليه فقد تربى في رياض العلم والعلماء حتى اشتد عوده ورسخت في العلم قدمه، الأمر الذي ساعد في تفتُّق مواهبه وتنمية قدراته وتوجيهه التوجه السليم نحو المبتغى الذي كانت تريده عائلته.

أخذ تعليمه الأول على يد والده أبي عمران موسى المازوني، الذي وصفه بعضهم بالفقيه الأجلّ المدرس المحقق القاضي الأكمل[1].

كما تتلمذ على قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، وهو أشهر شيوخه، وهو أول من ذكره المازوني في مقدمة كتابه في مقدمة كتابه الدرر قائلا: "شيخي ومفيدي شيخ الإسلام وعلَم الأعلام العارف بالقواعد والمباني سيّدي أبو الفضل قاسم العقباني"[2].

ومن أبرز شيوخه أيضا:

1) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد، ذكره يحيى المازوني في مقدمة نوازله بعد العقباني مباشرة قائلا: "شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التآليف العجيبة والفوائد الغريبة، مستوفي المطالب والحقوق سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق"[3].

2) محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني، يكنى أبا عبد الله، وهو آخر ثلاثة شيوخ ذكرهم المازوني في مقدمة كتابه الدرر بالقول: "وشيخي الإمام الحافظ المتفنن بقية الناس سيدي أبو عبد الله محمد بن العباس"[4].

وأبرز **من تتلمذ على يديه:**

العلامة أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، يدلّ على ذلك تقريظ للونشريسي مثبت في أحد نسخ مخطوط "الدرر المكنونة"، حيث يقول في مطلع تقريظه: "... الصدر الأوحد، العلامة، العلم، الفضال، ذي الخلال السنية، وسني الخصال، شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحي"[5].

وقال في المعيار: "وعن مثل هذا السؤال سأل صاحبنا القاضي العلامة أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي شيخنا وبركتنا العالم المفتي أبا الفضل قاسما العقباني..."[6].

وهذا لا يعني أن الفقيه المازوني لم يكن له طلبة في مازونة أو في تلمسان، ولكن لم نجد لهم في كتب التراجم ذكرا، وحسبه أن ينتسب إليه الفقيه الونشريسي في العلم والاستفادة.

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص605، 606.

(2) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص134.

(3) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص134.

(4) المرجع نفسه ص 135.

(5) انظر: المهدي بوعبدلي، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 83، 84، سنة 1980م، ص26

(6) أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب، 351/5.

أما فيما يخص **أخلاقه وأدبه:** فإنه من خلال متابعة كتاب "الدرر المكنونة" يتضح لدى القارئ مدى أخلاق الشيخ وتواضعه، حتى مع رسوخه العلم، يتجلى ذلك من خلال سؤالاته لبعض الشيوخ وعباراته في بيان مكانتهم، بل حتى في غيبتهم حفظ جميلهم، فمثلا عند ذكره لأبي الفضل العقباني فقلما يذكر إلا وهو يبجل بأرقى العبارات التبجيل؛ مثل سألت شيخنا وسيدنا..[1]

وأما فيما يتعلق **بمؤلّفاته وآثاره** التي خلّفها فإنه لم يُعرف للشيخ أبي زكرياء يحي المازوني حسب مصادر ترجمته غير مصنفه: «**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**»، وهو عند جُلّ مترجميه من أفضل المصنفات[2].

توفي الشيخ أبو زكرياء يحي المازوني بتلمسان، سنة 883هـ / 1478م)، وقبره مشهور بحارة الرحيبة قرب باب الحياد الحالي[3].

2.2 التعريف بكتاب "الدرر المكنونة":

سأحاول إعطاء نبذة مختصرة حول كتاب المازوني من خلال النقاط التالية:

أما **اسم الكتاب** فهو "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، وقد صرّح بذلك المؤلف نفسه في طليعة كتابه[4]، واشتهر أيضا باسم "نوازل المازوني" أو "المازونية" عند كثير من العلماء[5].

وأما **نسبة الكتاب** لصاحبه فهي متحققة وأكيدة؛ فالمؤلف نفسه أقر بذلك في مقدمة كتابه، فقال: "... وسمّيته بالدرر المكنونة في نوازل مازونة"[6]، كما أن كل من ذكر المازوني نسب له فتاوى جمعها عن المتأخرين من أهل تلمسان وبجاية والجزائر[7].

وقد **اعتمد المازوني في دره على مصادر** كثيرة ومتنوعة، وإن كان في الغالب استمد مادته من كتب الفقه المالكية بالإضافة إلى كتب التفسير وأحكام القرآن والحديث والأصول وكتب النوازل والوثائق، وقد أشار إلى جملة منها في مقدمة كتابه لما قال: "وكان قد اتفق لمولاي الوالد في مدة قضائه، ما اتفق لي من الالتجاء إلى كتب الأسئلة للأئمة المعاصرين له، حتى اجتمع له من أجوبتهم جملة وافرة... فضممت ما كنت جمعت، وما جمع مولاي الوالد، وما وجدته بيد بعض الخصوم، ويد بعض القضاة، وكتبا من أجوبة المتأخرين المتضمنة مسائل العبادات ومسائل العادات..." إلى آخر كلامه رحمه الله[8].

ويتجلّى **منهجه في نوازله** من خلال المعالم التالية[9]:

(1) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص: 134، 135.
(2) انظر: المهدي بوعبدلي، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي، ص26.
(3) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص637. مخلوف، شجرة النور الزكية (383/1).
(4) يحي المازوني، مقدمة كتاب الدرر المكنونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص: 135.
(5) التنبكتي، نيل الابتهاج ص119، 121، 135، 299، 333.
(6) يحي المازوني، مقدمة كتاب الدرر المكنونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص: 135.
(7) طبقات الحضيكي، 612/1. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص637. مخلوف، شجرة النور الزكية، 383/1.
(8) يحي المازوني، مقدمة كتاب الدرر المكنونة، دراسة وتحقيق: ماحي قندوز، ص: 133، 134.
(9) الأخضر الأخضري، مدرسة مازونة نموذجا للاتباع المحمود والاتباع المشروع، الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي: المدرسة المالكية الجزائرية، المنعقد بدار الثقافة، ولاية عين الدفلى، الجزائر، ص66- 78.

1) ترتيب الفتاوى وفق الأبواب الفقهية في كتب الفقه بدءا ببابي الطهارة والصلاة وصولا إلى أبواب البيوع والمعاملات وانتهاء بأبواب النكاح والطلاق والخلع وغيرها.

2) التزم في الغالب المذهب المالكي في الفتوى، وقد يورد أحيانا آراء الشافعية والحنفية.

3) التمييز بين الحقائق اللغوية، والعرفية والاصطلاحية في الإفتاء؛ فلا يَجلب المعنى اللغوي متصورا أنه المسمّى الاصطلاحي أو العرفي؛ فيفتي من خلاله.

4) الاستدلال للفتاوى وتقريرها على نهج الأقيسة الفقهية والمنطقية.

5) التعويل على الجدل الفقهي واستحضار الأدلة من المنقول والمعقول لإفحام الخصوم، والاستعانة أحيانا بأسلوب الفنقلة في الفتيا؛ حيث كانت تفتتح العديد من الفتاوى بقولهم (**فإن قلتَ... قلتُ**)، وهذا من باب افتراض الخصوم على طريقة المناظرة الصورية.

6) عرض الفتاوى بطريق الألغاز أحيانا من أجل شحذ الأذهان وتقويمها.

3. المحور الأول: أسباب حدوث النزاعات الزوجية:

من خلال تتبع النصوص التي يحتويها "نوازل مازونة" يمكننا رصد جملة من الأسباب التي أدت إلى تدهور العلاقات الأسرية وحدوث توترات بها، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1.3 الإكراه على الزواج:

إن الإكراه على الزواج ونفرة أحد الزوجين من الآخر معضلة لا تحتمل ومزمنة لا تنتهي، كما أنه يؤدّي إلى تعكير الحياة الزوجية وفقدانها استقرارها وتَقلِب البيت إلى جحيم لا يطاق، وعادة ما ينتهي بتفكك الأسرة وتشتتها.

وفي هذا الصدد سئل العقباني عن ثيب قام أبوها بتزويجها من رجل ذي وجاهة، ورغم كراهيتها لهذا الرجل إلا أنها أظهرت الرضا وتزوجت منه وذهبت معه، ولكنها فرّت بعد ذلك ولجأت إلى بعض الزوايا وتمنعت، فلما سئلت عن ذلك ذكرت بأنها رضيت به لخوفها من أبيها؛ فقد كانت تنظر إليه "وبيده سكّين ولو لم أقل ذلك لقتلني بسكينه، سيما ونساء الدوار يخوّفنني ويقلن لي شوّهت بأبيك"[(1)].

كما سئل أيضا عن رجل استعان ببعض الفرسان الأعراب ليختطفوا ابنة عمه، وحملوها قهرا من وطنها إلى وطنه وتزوجها، وادّعى أمام القاضي أنه بعث إلى أخيها ليعقد له عليها، وأنها راضية بها، ولكن لما سئلت المرأة قالت: "أنا مقهورة ولا رضيت قط"[(2)].

(1) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 89، 90.
(2) المرجع نفسه ص91- 93.

وفي بعض الأحيان كانت المرأة تعبر صراحة عن رغبتها وميلها لأحد الخاطبَين، ولكن رغم ذلك حاول وصيُّها تزويجها من آخر، وعقد له عليها، فأنكرت[1].

وتشير بعض النوازل إلى أن إكراه المرأة على الزواج كما يكون من طرف أبيها أو وصيها، فإن أخ المرأةَ قد يدفعها إلى الزواج ممن لا ترضى، مما يتسبب في وقوع الخلاف والخصومة بين الزوجين، فهذه المرأة امتنعت من زوجها لما أراد الدخول بها وقالت له: "أنا ما رضيت بك قط ولا وكّلت أخي على ذلك..."[2].

وقد تحدث الكراهية من الزوج نحو زوجته فيدفعها إلى الفراق أو التنازل عن بعض حقوقها، كما وقع لرجل تزوج امرأة كبيرة مات عنها أخوها، فلما رآها كرهها وأراد فراقها إلا إذا أسقطت عنه مؤنتها ونفقتها[3].

2.3 الخداع والتغرير وكتمان العيوب:

تكشف لنا "نوازل مازونة" على كثير من حالات الخلاف والخصومة بين الزوجين التي كانت بسبب الخداع وتغرير أحد الزوجين للآخر؛ فقد سئل العقباني عن رجل تزوج امرأة فحملت وولدت لأقل من ستة أشهر، وادّعت أنه لم يكن لها علم بهذا الحمل قبل الزواج، فهل تكون قد غررت بزوجها أم لا؟[4].

بل قد يصل الخداع إلى أن المرأة تكون متزوجة وتخفي ذلك لتتزوج بآخر، ثم لما علم الزوج الثاني بالأمر اعتزلها وطالبها بالصداق الذي أعطاها لأنها غرته وخدعته[5].

ونجد في حالات أخرى أن المرأة تطالب بالخلع لعيب بزوجها أخفاه عنها؛ حيث تشير نازلة إلى أن رجلا زوج ابنته من ابن أخيه، فوجدته عنينا لا يتأتى منه الوطء ولا يُرجَى برؤه مما ألحق ضررا بالمرأة[6].

ومن أبرز صور الخداع والتغرير الذي قد يقع بين الزوجين مخالفة أحدهما للشروط المتفق عليها عند عقد النكاح؛ وهذا ما تصوره لنا نازلة وقعت بمازونة، حيث تقدم أحد الرجل لخطبة امرأة وهو متزوج من أخرى بالجزائر، فأبوا أن يزوجوه حتى يطلق زوجته الأولى، واتفقوا على ذلك أثناء العقد وتزوجها، ولكن لما رجع إلى مدينته تمسك بزوجته الأولى وادّعى أنه لم يطلقها، وقال "أن زوجتي تسمى بمريم بنت المسروالي، ولها عمة تسمى بمريم المسروالي، وأنا ما حرمت إلا العمة"[7].

3.3 اتخاذ الضرائر وسوء العشرة:

(1) المرجع نفسه ص104- 106.
(2) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 183.
(3) المرجع نفسه ص201.
(4) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 125، 126، 257.
(5) المرجع نفسه، ص 126.
(6) المرجع نفسه، ص 121.
(7) المرجع نفسه، ص 207- 208.

تشير بعض النوازل إلى أن اتخاذ الضرائر وتعدد الزوجات أدى إلى إثارة غيرة المرأة مما تسبب في حدوث خلافات في الأسرة خصوصا إذا جمع الزوج أكثر من زوجة في بيت واحد؛ ومن ذلك أن رجلا كانت له أكثر من امرأة، وكان يأتي بالشيء للبيت يريد ادّخاره للضيف فيضعه عندها، فكان هذا الفعل يثير غيرة الباقي من نسائه فيخاصمنه وينازعنه في ذلك، وقد فسّر تصرفه هذا للفقيه بكون هذه المرأة رشيدة وعاقلة بخلاف الأخريات[1].

وطالبت أخرى زوجها بالفراق لكونه يقوم وينهض لضرتها دونها، وادّعى الرجل أن ذلك التصرف كان عفويا، ولم يقصد به إلحاق الضرر بها[2].

كما دلّت الكثير من النوازل على أن سوء العشرة أدّى إلى حدوث توترات بالأسرة، فنجد أن الرجل قد يسئ عشرة زوجته ويعاملها معاملة الجارية والخادمة فيكلفها ما لا تطيق من الأعمال المنزلية وخدمة الضيوف، فتفعل ذلك خوفا أو حياء، وبعضهن يفعلن ذلك لإظهار المزية على الضرة فقط رغم الضرر اللاحق بها أو تثور على زوجها وتخاصمه[3].

وقد يريد الرجل الانتقال والسفر إلى بلد آخر، فتمتنع الزوجة وتأبى عليه ذلك مدعية "أنه لا غرض له في الانتقال، وأنه إنما يسافر ليضرّ بها" فوقعت بينهما مشاررة وخصومة، ولم يقدر على جبرها بالقضاء[4].

ومن أعجب ما جاء في نوازل المازوني أن امرأة نفرت من زوجها ونشزت عنه، ولما أبى طلاقها استعدت عليه بعض الرجال فضربوه وأدموه، ولزم الفراش من شدة الجراحات، ثم إنه لما برئ خاف أن تكرر فعلتها فهرب منها وابتعد[5].

4.3 الانحراف الأخلاقي لأحد الزوجين:

تعد الانحرافات الأخلاقية واحدة من أبرز العوامل التي أدت إلى تفاقم الخلاف بين الزوجين، وهذا يكون من الرجل ومن المرأة؛ فيكون الرجل مثلا من أهل الظلم والفساد ويشتهر بالفسق، وقد كشفت بعض النوازل سعي الإخوة في تطليق أخواتهم من أزواجهن الذين عُرف أحدهم بأن "يأخذ أموال الناس بغير حق... ويجري الحروب ويقتل النفس بغير سبب شرعي، ويثير الفتن في الوطن..." [6].

وعُرف آخر بكونه من أهل المكاسب المحرمة وكثرة الأيمان الكاذبة[7]، وفي نازلة أخرى جاءت أم تسأل عن صحة عقد زواج ابنتها من رجل اشتهر بالتعاملات الربوية وأيمان الفساق[8].

(1) المرجع نفسه، ص 245.
(2) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 248.
(3) المرجع نفسه، ص247.
(4) المرجع نفسه، ص349.
(5) المرجع نفسه، ص353.
(6) المرجع نفسه، ص94.
(7) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص111.
(8) المرجع نفسه، ص99.

وقد يخفى حال الرجل على المرأة وأوليائها، فينكشف انحرافه بعد الزواج، كما وقع لامرأة اشتكت زوجها لوالدها وأخبرته برغبتها في فراقه؛ لأنه ممن يسرق المطامير ويتّهم بالزنا ويخالط السفهاء ويسمح لهم بدخول بيته سواء حضر أو كان غائبا، مما ألحق الضرر والعار بها[1].

وفي المقابل قد يقع بعض النساء في سلوكيات منحرفة؛ كنشوزها من زوجها وتمردها عليه[2]، وفي نازلة أخرة أراد رجل أن يلاعن زوجته؛ لأنه رآها تزني[3]، وآخر تزوج بامرأة فشك بها واعتزلها؛ لأنه جاءت بولد لأقل المدة التي تلد إليها النساء غالبا[4].

5.3 الإخلال بالالتزامات المالية للأسرة:

تعد الخلافات المالية بين الزوجين من أكثر ما يوقع الخصومة بين الزوجين ويحدث تنافرا بينهما، وبهذا الخصوص تطلعنا نوازل المازوني على النزاعات المتعلقة بالصداق والمهر وإخلال الرجل به، ومنها أن رجلا خطب ثيبا فرغبت فيه ورفضه أبوها، فوكّلت من يزوجها منه ودفع لها بعض صداقها، ثم خرجت إلى بيت زوجها، وبعد مدة طالبته بالباقي من مهرها فأنكر العقد عليها[5].وقد يكون الدافع للإخلال بأداء المهر هو عجز الزوج عنه؛ فهذا رجل زوّج ابنته من فقير على مائة دينار ذهبا، ولكن وقع بينهما نزاع وتباغض بسبب أن هذا الزوج لا يملك إلا قدر ما قيمته عشرون دينارا، ولا يمكنه تسليم الباقي لفقره[6].

وأورد المازوني في نوازله جملة من القضايا التي يكون السبب فيها النفقة؛ فهذه امرأة رفعت أمرها للقاضي وأكثرت الشكية بزوجها؛ لكونه يتركها بلا نفقة وزعم الزوج أنه كان يعطيها ما يقدر عليه[7].

وقد يحاول الرجل إسقاط نفقة زوجته عن نفسه لأي سبب، ومن أمثلة ذلك الزوج الذي سأل المفتي عن امتناع زوجته عن الانتقال والسفر معه إلى بلد آخر، هل تسقط نفقتها؟[8]. وتشير نازلة أخرى إلى أن امرأة مرضت مرضا تعذر معه الاستمتاع، فسأل زوجها هل تسقط نفقتها؟ وما حكم الزائد على نفقتها من أدوية وأجرة طبيب وغير ذلك؟[9].

ووردت نوازل مماثلة يسأل الأزواج فيها عن سقوط النفقة لكون الزوجة ناشزا [10]، أو لعجزه وحاجته[11]، بل ويعمد بعض الأزواج للضغط على زوجاتهم بتخييرهم بين الطلاق أو أن تمكنه من مالها[12].

(1) المرجع نفسه، ص232، 233.
(2) المرجع نفسه، ص353.
(3) المرجع نفسه، ص291.
(4) المرجع نفسه، ص294.
(5) المرجع نفسه، ص227.
(6) المرجع نفسه، ص251.
(7) يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص348.
(8) المرجع نفسه، ص349.
(9) المرجع نفسه، ص350.
(10) المرجع نفسه، ص353.
(11) المرجع نفسه، ص351، 352.
(12) المرجع نفسه، ص351، 352.

4. المحور الثاني: ردود أفعال الزوجين ودور الفقهاء تجاه النزاعات الزوجية:

سأحاول هنا الكشف عن تصرفات الزوجين تجاه هذه النزاعات وأثرها عليهما من خلال نصوص «**الدرر المكنونة**» للمازوني، ثم بيان مدى مساهمة الفقهاء في رأب الصدع وإطفاء نار الخلاف بين الزوجين.

4.1 ردود أفعال الزوجين وتصرفاتهما تجاه هذه النزاعات:

تعددت ردود أفعال الزوجين تجاه الخصومات التي كانت تحدث بينهما حسب حدة الخصومة، بين المناوشة الكلامية وحدوث مشاررة بينهما[1] إلى الضرب والعنف والفرار وغير ذلك مما سيأتي بيانه.

أولا: الادعاء والكذب:

وفي هذا الصدد تطلعنا نوازل المازوني إلى أن بعض الأزواج دفعتهم الخصومات والخلافات إلى محاولة التخلص من العلاقة الزوجية ولو بالادعاء والكذب، فقد سئل العقباني عن امرأة خطبها رجل وظهر منها ما يدل على الرضا، ثم بعد عشر أشهر من بنائه به ادعت أنها مقهورة ومكرهة على هذا الزواج[2].

وتشير نازلة أخرى أن رجلا أراد السفر لأمور باعثة له على ذلك، فأبت زوجته السفر معه وحدثت خصومة بينهما، فرفعا أمرهما للقاضي، وادّعت الزوجة أنه ليس له غرض في السفر إلا الإضرار بها[3].

ثانيا: الهرب والفرار:

نجد في حوادث كثيرة محاولة أحد الزوجين الهروب تخلصا من هذا العلاقة المبنية على التوتر والاضطراب، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ذُكر من أن زوجا هرب إلى مدينة أخرى تبعد عن زوجته مسافة خمسة أيام، لما وقع عليه منها من نشوز وكراهية وخصومة شديدة وصلت إلى أن حرّضت عليه من يضربه[4].

وقد يحدث الفرار من المرأة نتيجة إكراهها على الزواج من رجل وحبها لآخر، مستعينة في ذلك بجماعة من خارج مدينتها حيث خرجت إليهم ليلا، وتواطأ معها في ذلك أمها وبعض أقربائها[5].

ثالثا: الظهار أو الهجر أو الضرب:

وفي هذا الصدد تشير نوازل المازوني إلى أن بعض النساء كن بعد الخصومة يغضبن ويهجرن بيوت الزوجية إلى بيوت آبائهن[1]، بل وصل الحد عند بعض النساء أنها لما نفرت من زوجها وكرهته سلطت عليه من يضربه ويعنفه[2].

---

(1) المرجع نفسه، ص349.

(2) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 142.

(3) المرجع نفسه، ص 349.

(4) المرجع نفسه، ص 353.

(5) المرجع نفسه، ص 107. وانظر أيضا قصة مشابهة: ص89.

وفي المقابل نجد أن بعض الرجال كان يهجر زوجته لمجرد الشكاية به لدى القاضي رغم أنه كان يتركها بلا نفقة، "فلما انفصلا عن مجلس القاضي هجرها وقطع نفسه عنها ولم يعطها يوما ولا ليلة، وحقد عليها لمرافعتها إياه للقاضي"[3].

كما نجد في نازلة أخرى أن رجلا ظاهر من زوجته؛ لأنه غضب منها[4].

واستفتى رجل الشيخ عبد الرحمن الوغليسى حول جواز ضرب إحدى نسائه، وذلك أنه كان له امرأتان إحداهن رشيدة دون الأخرى، فكان يأتي بالشيء يريد ادخاره للضيف فيضعه عند الرشيدة فتنازعه الأخرى، فرأى أن الكلام معها ونصيحتها غير مجدية وأنه لا يفيد فيها إلا الضرب[5].

رابعا: الاستعانة بالوجهاء والأقارب:

تصل بعض الخصومات إلى حدّ يعجز معه الزوجان أو أحدهما عن حلها بأنفسهما فيلجآن إلى طرف ثالث من أجل رفع الظلم وإعطاء كل ذي حق حقّه أو لمساعدتهما على التوصل لتسوية هذه الخلافات وتقريب وجهات النظر بينهما.

وتشير نازلة إلى أن امرأة زوجها أبوها بمن تكرهه، فاستعانت ببعض المرابطين من أهل قريتها، فقاموا معها وانتصروا لها، وقالوا: "هذا منكر عظيم لا يحل لنا المقام معه" وأرادوا المغادرة والرحيل إذا لم يرفع الظلم عن هذه المرأة[6].

كما أن الأقارب كان لهم دور في التدخل في هذه النزاعات ومحاولة فضّها، فهذه بنت زوجها أبوها من شيخ اشتهر بالفسق والظلم والاعتداء على الأنفس والأموال، وكان أخوها غائبا في سفر، فلما رجع وعلم بحال أخته أنكر ذلك أشدّ الإنكار، وقال: "هذا لا يليق بمنصبنا، نحن أهل زاوية وبيت وعلم وخير ودين"، ورفع أمره للقاضي من أجل فسخ هذا النكاح[7].

4.2 دور الفقهاء ومساهمتهم في حل النزاعات الزوجية:

إذا كان السؤال الوارد على الفقيه في النازلة غالبًا ما يمثّل حقيقة الواقع الاجتماعي، إذ أنه يصف الحدث أو المشكلة؛ فإن الجواب يمثّل القانون المعتمِد على الدين والفقه[8]؛ ولذا فإن دور الفقهاء غالبا ما كان يحاول تصحيح الأوضاع وفق المنظور الفقهي وإرشاد الزوجين إلى ما ينبغي أن يكونا عليه من حسن الأخلاق والمعاشرة بالمعروف والرعاية والإحسان حتى يسود بينهم التوافق والتفاهم، والغاية من ذلك تعزيز قدرتهم على دفع الخلاف والخصومة المؤدية إلى العداوة والبغضاء وبالتالي حدوث الانفصال وضياع الأبناء.

---

(1) المرجع نفسه، ص 248.

(2) المرجع نفسه، ص 353.

(3)يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 348.

(4) المرجع نفسه، ص 292.

(5) المرجع نفسه، ص 245.

(6) المرجع نفسه، ص 89.

(7) المرجع نفسه، ص 94.

(8) عبد الرحيم الحسناوي، النوازل الفقهية والتاريخ -إضاءة إبستيمولوجية-، تاريخ النشر: 03 يناير 2020، تاريخ الاطلاع 20 جوان 2023، على الرابط التالي: http://ijtihadnet.net/النوازل-الفقهية-والتاريخ-إضاءة-إبستي/

وتشير نازلة سئل فيها الوغليسي عن زوج حاول تكليف زوجته بما لا تطيقه من خدمة الأضياف، ووقع نزاع بينهما بسبب ذلك، فبيّن له أن ذلك لا يجوز شرعا، وأرشده إلى الرفق والإحسان؛ فقال: "أما تكليفها ما لا تطيق فلا يجوز ذلك، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالرفق بالمملوك وقال: {**لا تكلفوهم ما لا يطيقون**}[(1)]، فكيف بالزوجة، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالإحسان إليهن"[(2)].

وفي بعض الأحيان كان دور الفقيه يتمثل في حماية الطرف الضعيف من محاولة الطرف الآخر أكل حقه والاستيلاء عليه، فهذا رجل يسأل العقباني عن حكم إسقاط النفقة عن نفسه تجاه زوجته، لأنها مرضت مرضا شديدا تعذّر معه الاستمتاع بها، فأجابه بأنه لا تسقط النفقة بمرض الزوجة[(3)].

كما سئل أيضا عن رجل افتقر وأراد أخذ مال زوجته فادّعى أنها سفيهة لا تحسن التصرف في مالها، وقال: "أنفق عليها منه أو أطلّقها إن لم تفعل"، فأجابه بأن الإنفاق على الزوجة برضاها جائز شرعا، ولكن "لا يباح له أن يحتوي على التصرف في مالها لأجل الإنفاق عليها منه؛ لأن يدي الأزواج مسرعة لإتلاف مال الزوجات، وإنما له أن ينفق عليها من يد الحاجر عليها ولو كان القاضي[(4)].

5. خاتمة:

ناقشت هذه الدراسة قضية النزاعات الزوجية انطلاقا من كتاب «**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**» محاولة الكشف عن أسباب هذه النزاعات ودوافعها، ثم بيان آثارها وانعكاسها على الأسرة من خلال الوقوف على ردود أفعال الزوجين تجاهها، وكذا معرفة دور الفقهاء ومساهمتهم في الإصلاح بين الزوجين.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. تؤكد نصوص كتاب «**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**» على أن أبرز أسباب النزاعات الزوجية تتمثل في الإكراه على الزواج، واستعمال أحد الطرفين الخداع والتغرير أو كتمان العيوب، واتخاذ الضرائر، وسوء العشرة، والانحراف الأخلاقي لأحد الزوجين، وإخلال الزوج بالالتزامات المالية للأسرة.
2. تنوعت ردود أفعال الزوجين أو أحدهما تجاه هذه النزاعات بين الادعاء والكذب، أو الهجر والضرب والفرار وبين الاستعانة بالوجاء والأقارب من أجل تقريب وجهات النظر.

(1) أصل الحديث في الصحيحين من رواية أبي ذر رضي الله عنه وفيه: {**ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**}. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**الْعَبِيدُ إِخْوَانُكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ**)، رقم: 2407، 899/2. ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، رقم: 1661، 1282/3، 1283.

(2) يحيى المازوني، الدرر المكنونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 247.

(3) المرجع نفسه، ص 351.

(4) ا يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق: الكريف محمد رضا، ص 352.

3. تجلّى دور الفقهاء تجاه هذه النزاعات في بيان الخطأ والصواب في المواقف وردود الأفعال، ومحاولة تصحيح الأوضاع وفق المنظور الفقهي، وإرشاد الزوجين إلى ما ينبغي أن يكونا عليه من حسن الأخلاق والمعاشرة بالمعروف والرعاية والإحسان.

6. قائمة المراجع:

1) أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط:2، دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، 2000م.

2) أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

3) الأخضر الأخضري، مدرسة مازونة نموذجا للاتباع المحمود والاتباع المشروع، طبع ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي: المدرسة المالكية الجزائرية، المنعقد بدار الثقافة، ولاية عين الدفلى، الجزائر، بتاريخ 14. 15. 16 أفريل 2009، ص66- 94.

4) الحضيكي محمد بن أحمد، طبقات الحضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو، ط:1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، م2006.

5) عبد الرحمن بن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط:1، دار الفكر، بيروت، 1981.

6) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، دار اليمامة -دمشق، 1993م.

7) محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط:1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

8) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م.

9) المهدي بوعبدلي، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 83، 84، سنة 1980م.

10) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق لمسائل الطهارة حتى مسائل الضحايا والعقيقة، إعداد: ماحي قندوز، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010- 2011.

11) يحي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق لمسائل النكاح والإيلاء واللعان والظهار والعدد والرضاع والنفقات، إعداد: الكريف محمد رضا، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2015- 2016.

12)عبد الرحيم الحسناوي، النوازل الفقهية والتاريخ –إضاءة إبستيمولوجية–، تاريخ النشر: 03 يناير 2020، تاريخ الاطلاع 20 جوان 2023، على الرابط التالي: http://ijtihadnet.net/النوازل–الفقهية–والتاريخ–إضاءة–إبستي/